يبدو أن موضوع فشل الزواج، أصبح موضة هذه الأيام في الروايات الفرنسية، فعن دار غاليمار الفرنسية للنشر، صدرت، أخيرا، للروائي المغربي المقيم في فرنسا الطاهر بن جلون، رواية جديدة بعنوان «السعادة الزوجية» Le Bonheur Conjugal، تدور أحداثها في سنة 2002 بالمغرب وتحديدا في مدينة الدارالبيضاء، وتتناول العلاقة المتشعبة والمتشابكة بين الأزواج بأسلوب ساخر.

عمل يتناول بأسلوب ساخر العلاقة المتشعبة والمتشابكة بين الأزواج

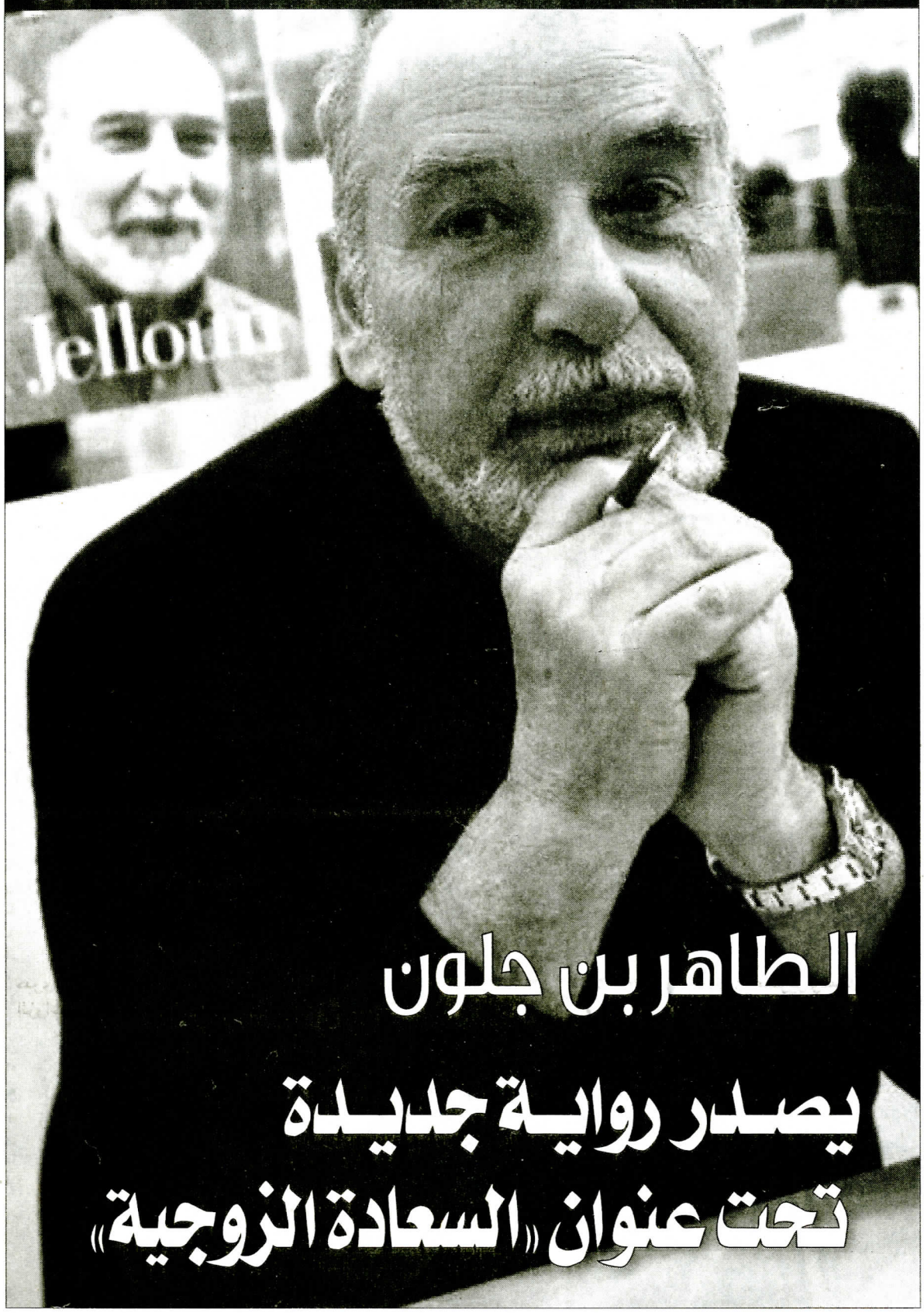

الطاهر بن جلون روائي وشاعر مغربي، فرنكفوني، ازداد بمدينة فاس في الفاتح من دجنبر من سنة 1944.

بعد دراسة ابتدائية عصرية التحق بالثانوية الفرنسية بمدينة طنجة في سن الثامنة عشرة، ثم تابع دراسته الجامعية في شعبة الفلسفة بجامعة محمد الخامس بالعاصمة الرباط، حيث ستتفتق موهبته الشعرية وسيصدر ديوانه الأول سنة 1971 بعنوان "رجال في أكفان الصمت".

انخرط بن جلون في سلك التدريس بالمغرب أستاذا لمادة الفلسفة، وغداة تعريب هذه المادة في إطار مخطط تعريب التعليم بالمملكة المغربية، سيضطر إلى الهجرة في اتجاه فرنسا سنة 1971.

منذ سنة 1972، كتب العديد من المقالات على صفحات جريدة "لوموند" الفرنسية، ثم حصل على دكتوراه في علم النفس الاجتماعي سنة 1975، وكان لهذا التخصص الأكاديمي أثره الواضح على العديد من دراساته وإبداعاته الروائية، من أهمها دراسة سوسيونفسية موسومة بـ "محجز العزلة" الصادرة سنة 1976.

"إبن الرمال" هو العمل الروائي الذي سيساهم كثيرا في شهرة الكتاب طاهر بنجلون وسيتوج مساره الإبداعي بحصوله سنة 1987 على جائزة "الغونكور" عن رواية ثانية بعنوان "ليلة القدر".

يقيم الطاهر بنجلون حاليا، بالعاصمة الفرنسية باريس رفقة زوجته وابنته مريم التي أهداها بعض كتاباته البيداغوجية مثل "العنصرية كما شرحتها لابنتي" التي صدرت سنة 1997. ترجمت جل روايات بنجلون إلى العديد من اللغات العالمية فـ "إبن الرمال" ترجمت إلى ثلاثة وأربعين لغة و"العنصرية كما شرحتها لابنتي" ترجمت إلى 25 لغة بما فيها لغة ("الإسبيرانتو" المغمورة.

ويعتبر طاهر بنجلون من أكثر الكتاب الفرنكفونيين العالميين ترجمة، بل إن رواياته المشهورة ترجمت إلى بعض اللغات المحصورة والمغمورة كالأندونيسية، والليتوانية، والفيتنامية، والعبرية، والكورية، والصينية، واليابانية، والألبانية، والسلوفينية.

وبالإضافة إلى جائزة "الغونكور" الشهيرة، حصل طاهر بنجلون على جائزة "IMPAC" في يونيو 2004 تحت إشراف لجنة دولية وباستفتاء ضم أزيد من 160 مكتبة أنكلوسكسونية عن روايته "هذه العتمة التي تغشى البصر" وهي رواية كتبها طاهر بنجلون، استنادا إلى وقائع حقيقية سردها عليه أحد معتقلي "تازمامرت".

وهو الآن عضو منتخب في لجنة "الغونكور" التي تسند كل عام جائزتها لأفضل رواية تصدر في فرنسا.

■ وبخصوص القراءات النقدية الأولى التي أنجزت حول الرواية، أجمع عدد من النقاد الفرنسيين على أن موضوع الرواية مجتر لا جديد فيه ولا طرافة ولا ابتكار، بل هناك ناقد قال إنه لم يستطع تجاوز الصفحة الـ150من الرواية، ولكن المهم والطريف أن هناك من رأى أن الطاهر بن جلون، وهو على مشارف السبعين من العمر، يسرد في الرواية شذرات من حياته الشخصية رغم محاولة التمويه باستبدال كاتب شهير برسام شهير إلا أن الأحداث فضحته. والرواية ربما فيها تجديد في الشكل، وكتبت بلغة فرنسية أنيقة، ولكن الأحداث كانت عادية والمضمون فاتر، وأحيانا ممل حتى أن ناقدة فرنسية أكدت أنها تركت الرواية جانبا عندما أخذ الزوج في سرد وتعداد مغامراته النسائية الكثيرة، مبرزا زوجته في ثوب المرأة الشريرة المحبة للمال، ما جعل الناقدة تذهب إلى الاعتقاد أن المؤلف مناصر للرجل ضد النساء، ولكن المؤلف الطاهر بن جلون يقول إن روايته هي تأملات في مؤسسة الزواج المبنية على النفاق، مستشهدا بمقولة منسوبة إلى تشيكوف: «إذا كنت تخشى الوحدة فلا تتزوج».

في روايته الجديدة التي صدرت الأسبوع الأول من الشهر الجاري، يتناول بن جلون قصة فنان تشكيلي شهير يتخلى عنه الجميع بعد إصابته بجلطة أقعدته الفراش، فزوجته تركته لممرضة واختارت جناحا في الفيلا الفسيحة بعيدا عنه، وزملاؤه الرسامون أظهروا إزاءه الكثير من مشاعر الشماتة.

في وحدته القاتلة، يجد الفنان سلوته في تذكر مجده الفني عندما كان يعرض لوحاته في فرنسا، خصوصا في العاصمة باريس، ويلاقي نجاحا كبيرا، واسترجاع شريط تعرفه على زوجته التي التقى بها في فرنسا، فهو سليل عائلة فاسية بورجوازية، فهي ابنة عامل مهاجر مغربي مقيم في مدينة كلازمون فارون وسط فرنسا.

كانت فتاة جميلة في الرابعة والعشرين من عمرها، عندما التقى بها أول مرة وتزوجها بسرعة. وبعد أربع سنوات من الزواج وإنجابهما لابنين اثنين، بدأت تظهر الخلافات والخصومات بينهما وبرزت الطبائع المختلفة وأصبحت الحياة بمرور الأيام بينهما جحيما. وفي الفترة التي ازدادت فيها الخلافات بينهما، عاد الرسام الشهير إلى حياة اللهو وأصبح له علاقات مع عشيقات كثيرات.

داهمه المرض وهو في أوج مجده الفني، ووجد بعض السلوى في استرجاع ذكرياته واجترارها، واستنتج أن زواجه هو أحد أسباب ما أصابه من مرض، وقرر أن يكتب مذكراته ويخلد حياته في كتاب ليكشف كل ما عاشه مما يسميه «الجحيم»، وهو يقصد ما عاناه من زوجته بسبب طباعها وتصرفاتها، ولما تفطنت الزوجة إلى مسودة الكتاب الذي شرع في تحريره قررت هي الأخرى أن ترد كتابيا على الاتهامات التي كالها لها، وهنا مكمن عنوان الرواية «السعادة الزوجية».

الجزء الأول من الرواية وهو الأطول كان مخصصا لسرد الزوج قصته، بينما تضمن الجزء الثاني من الرواية رد الزوجة. وأراد المؤلف أن يجعل القارئ حكما في مآلات هذه العلاقة المتعبة والصعبة.

كان الرسام ذائع الصيت يعرض لوحاته في المغرب وأوروبا وكانت تلقى رواجا وإقبالا، وتباع بأسعار مرتفعة. ووسط هذا النجاح كان الزوج يخون زوجته رابطا علاقات كثيرة مع نساء جميلات من جميع الشرائح والأعمار، ورغم اعترافه في الرواية إنه اقترن بزوجته عن حب إلا أنه سريعا ما شعر بالملل لاختلاف الطبائع والميولات، فما كان يفرق بينهما أكثر بكثير مما كان يجمعهما.